المحاضرة11

(الترادف، الاشتراك، التضاد)

يعدّ موضوعُ العلاقات الدلالية من محاور علم الدلالة الحديث، تتجلّى فيها علاقة اللفظ باللفظ، وعلاقة اللفظ بالمعنى. و"العلاقات الدّلاليّة مصطلح حديث يدلّ على العلاقات بين الكلمات من نواح متعدّدة كالترادف والاشتراك والتّضاد ونحو ذلك". وهي موضوعات مختلفة تندرج تحت هذا المحور، وقد شغلت اهتمام العلماء قديما وحديثا، وهي من مظاهر الثروة اللغويّة اللفظيّة، وتعبّر عن حركيّة اللغة العربيّة واتّساعها وتنوّع معانيها وعلاقات مفرداتها. "وقد تولّد مصطلح العلاقات الدلاليّة من دراسة الحقول الدلاليّة.

وقد تنبّه القدماء إلى هذه العلاقات الدلاليّة في اللغة، دون أنْ يطلقوا هذا المصطلح. يقول ابن فارس:" يُسمَّى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كرَجُل وفرس. وتسمّى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: "عين الماء" و"عين المال" و"عين السحاب. ويسمّى الشّيء الواحد بالأَسماء المختلفة. نحو: "السيف والمهنّد والحسام". وأوّل منْ أشار إليها هو سيبويه كما سيأتي في موضوع الترادف. والعلاقات الدلاليّة هي: الترادف، والمشترك اللفظي، التّضاد.

أولا: **الترادف**:

1. **تعريفه**:

أ. لغة:

التّرادُف مصدر من الفعل (ترادَفَ) الذي أصله(رَدِفَ)، وقد ورَد فيه:" الرِّدْفُ: مَا تَبِعَ الشيءَ. وَكُلُّ شَيْءٍ تَبِع شَيْئًا، فَهُوَ رِدْفُه، وَإِذَا تَتابع شَيْءٌ خَلْفَ شَيْءٍ، فَهُوَ التَّرادُفُ، وَالْجَمْعُ الرُّدافَى. وَيُقَالُ: جَاءَ الْقَوْمُ رُدَافَى أَي بَعْضُهُمْ يَتْبَعُ بَعْضًا... ورَدْفُ كُلِّ شَيْءٍ: مؤخَّرُه... وتَرَادَفَ الشيءُ: تَبِع بعضُه بَعْضًا. والتَّرَادُفُ: التَّتَابُعُ".

ومنه فالترادف لغة يحمل معاني التّتابع والمؤخّر.

ب. اصطلاحا:

أمّا اصطلاحاً، فقدْ عرّفه الجرجاني بقوله: "عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد".

وللسيوطي (ت 911هـ) في كتابه (المزهر) فصْل عنوانه (معرفة الترادف) نقَل فيه قوْل الإمام فخر الدين في تعريف الترادف بقوله:" هو الألفاظ المفردة الدالة علي شيء واحد باعتبار واحد".

وعرّفه الشريف الجرجاني بقوله:"المترادف ما كان معناه واحدًا وأسماؤه كثيرة، وهو ضدّ المشترك".

وهناك علاقة بين المعنيين؛ اللّغوي والاصطلاحي، قد بيّنها الجرجاني في قوله:"...أخذًا من الترادف، الذي هو ركوب أحد خلْف آخر؛ كأنّ المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه، كالليث والأسد".

ثانيا: أسباب الترادف:

1. اختلاف اللهجات العربية:

جاء في (المزهر) أنّ التّرادف" أنْ يكون من واضِعَين وهو الأكثر بأنْ تَضع إحدى القبيلتين أحدَ الاسمين والأخرى الاسمَ الآخر للمُسَمَّى الواحد من غير أنْ تشعرَ إحداهما بالأخرى ثم يَشْتَهر الوَضْعَان ويخفى الواضعان أو يلتبس وَضْع أحدهما بوضع الآخر وهذا مبنيٌّ على كون اللغاتِ اصطلاحية". من ذلك: القمح لغة شامية والحنطة لغة كوفيّة، وقيل البر لغة حجازية.

2. الاقتراض اللغوي:

لمّا اختلط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى من فرس وروم وأحباش، أدى هذا الاختلاط إلى دخول عدد من الكلمات الأعجميّة إلى اللغة العربية، فشكّلت ترادفا مع الكلمات العربية التي تحمل معناه نفسه، مثل: النرجس والخيار والمسك والياسمين كلّها أسماء أعجمية ترادف الكلمات العربيّة التالية:

النرجس: العبهر.

الخيار: القثد.

المسك: المشموم.

3. المجاز:

قد يستعمل اللفظان لمعنى واحد ويكون أحدهما مستعملا على سبيل الحقيقة والآخر مستعملا على سبيل المجاز، ومن أمثلة ذلك: تسمية العسل بالمادية، تشبيها بالشراب السلس الممزوج، وتسميته بالسلاف تشبيها بالخمر، وتسميته بالنحل على سبيل تسمية الشيء باسم صانعه.

ثالثا: آراء العلماء في الترادف:

خصّص سيبويه بابا في كتابه سمّاه (باب اللفظ للمعاني)، حيث يقول:" اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... فاختلافُ اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلسَ وذهبَ. واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ نحو: ذهبَ وانطلقَ. واتفاق اللفظين والمعنى مختلِف قولك: وجَدتُ عليه من المَوْجِدة، ووجَدت إذا أردت وجِدان الضّالَّة. وأشباه هذا كثيرٌ". وكان هذا المجال خصبا واسعا خصّصت له كتب كثيرة، فبحَث فيه العلماء وتدارسوه قبل أنْ يعرفوا مصطلحه، من ذلك: الأصمعي (ت 216هـ) الذي ألّف كتاباً عن

التّرادف، عنْونه: (ما اختلف ألفاظه واتفقت معانيه)، وأبو العباس المبرد (ت 285) الذي أشار في كتابه: (ما اتفق لفظه واختلف معناه) في كلامه على تقسيمات الألفاظ، بـ « من كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعني واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين...» ومنهم أيضا: محمد بن القاسم الأنباري (ت 327هـ).

ويظهر أنّهم جعلوا الترادف أحدَ تقسيمات الألفاظ، وأخذوا معنى الترادف من قوْل سيبويه السابق دون التصريح بمصطلحه الذي انتشر بعد ذلك. ولعلّ أوّل ظهور المصطلح كان عند علي بن عيسى الرماني (ت384هـ) في كتابه «الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى». وبعدها عند أحمد بن فارس (ت395هـ) في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها) عندما افتخرَ باللغة العربية: "وإنْ أردت أنَّ سائر اللغات تبيّن إبانة اللغة العربية فهذا غَلط، لأنا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذَلِكَ إلاَّ باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرةً، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسمّاة بالأسماء المترادفة. فأين هَذَا من ذاك، وأين لسائر اللغات من السَّعة مَا للغة العرب؟".

ويقول أيضا:" وممّا لا يمكن نقْله البتَّةَ، أوصافُ السّيف والأسد والرّمح وغير ذَلِكَ من الأسماء المترادفة. ومعلوم أن العَجَم لا تعرف للأسد غير اسم واحد، فأمّا نحن فنُخرج لَهُ خمسين ومائة اسم".

هذا، وقد انقسم العلماء في الترادف بين مثبت ومنكر:

فمن المثبتين: سيبويه والأصمعي والمبرّد وابن خالويه (ت370هـ) وغيرهم. وممّنْ ألف في الترادف مجد الدين الفيروز أبادي ألّف كتابا سمّاهُ (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف).

ومن حججهم:

- " لو كان لكلّ لفظة معنى غير الأخرى لما أمكنَ أن نعبِّر عن شيء بغير عبارة وذلك أنا نقول في ﴿**لا ريب فيه**﴾:لا شكّ فيه. فلوْ كان الريبُ غيرَ الشّك، لكانت العبارةُ عن معنى الريب بالشّك خطأً".
- الترادف موجود باستقراء معجمنا العربي، فجميع أهل اللغة إذا أرادوا أنْ يفسّروا اللّبّ قالوا : هو العقل ، أو السكب قالوا: هو الصب، وهذا يدلّ على أنّ اللبّ والعقل عندهم سواء، وكذلك السّكب والصّبّ، وعنى هذا أنّ المعاجم تفسّر الألفاظ بمرادفاتها، فإذا أنكرنا الترادف أنكرنا معه هذا التفسير.

ومن المنكرين: ابن الأعرابي (ت231هـ)، أبو علي الفارسي ثعلب، وأحمد بن فارس (ت395هـ) وابن درستويه، وأبو هلال العسكري الذي ألف كتابا سماه" الفروق في اللغة' بيّن فيه موقفه الرافض لوجود التّرادف، حيث رأى أنّ اختلاف الأسماء موجب لاختلاف المعاني، حيث رأى أن يألّف في" الْكَلَام فِي الْفرق بَين معَان تقاربت حَتَّى أشكل الْقرب بَينهَا نَحْو الْعلم والمعرفة والفطنة والذكاء والارادة والمشيئة

وَالْغَضَب والسخط والخطا والغلط والكمال والتمام وَالْحسن وَالْجمال والفصل وَالْفرق وَالسَّبَب والآلة وَالْعَام وَالسّنة وَالزَّمَان والمدة وَمَا شاكل ذَلِك". ومن حجج المنكرين:

- الْأَصْل عِنْدَ تَعَدُّدِ الْأَسْمَاءِ تَعَدُّدُ الْمُسَمَّيَاتِ وَاخْتِصَاصُ كُلِّ اسْمٍ بِمُسَمًّى غَيْرِ مُسَمَّى الْآخَرِ.
- يَلْزَمُ مِنَ اتِّحَادِ الْمُسَمَّى تَعْطِيلُ فَائِدَةِ أَحَدِ اللَّفْظَيْنِ لِحُصُولِهَا بِاللَّفْظِ الْآخَرِ. والْمَؤُونَةَ فِي حِفْظِ الِاسْمِ الْوَاحِدِ أَخَفُّ مِنْ حِفْظِ الِاسْمَيْنِ.
- إِذَا اتَّحَدَ الِاسْمُ دَعَتْ حَاجَةُ الْكُلِّ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مَعَ خِفَّةِ الْمَؤُونَةِ فِي حِفْظِهِ فَعَمَّتْ فَائِدَةُ التَّخَاطُبِ بِهِ. وهذا خلاف تَعَدَّد الْأَسْمَاء، فحفظ مَجْمُوع الْأَسْمَاءِ، شَاقٌّ جِدًّا.
- ما يعتبرونها أسماء هي في الحقيقة صفات، ممّا يروى عن أبي علي أنّه ما يحفظ للسيف إلا اسما واحدا أمّا المُهَنَّد والصَّارِم وغيرها فهي صفات وألقاب.
- لا يجوز أنْ يختلف اللفظ والمعنى واحد. فالترادف خلاف الأصل الذي هو التباين.

ثانيا: الاشتراك:

1. تعريفه:

أورد السيوطي تعريفا له بقوله:" وقد حدَّه أهل الأصول بأنّه اللفظُ الواحدُ الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة". فمن معاني (العين): النَّقْد من الدراهم والدنانير، مطر أيام لا يقلع. عينُ الإنسان التي يَنْظُرُ بها، عَيْنُ البئر وهو مخرج مائها. عين الميزان وهو ألاَّ يَسْتوي، عين الدابة والرجل وهو الرجل نفسه أو الدابة نفسها أو المتاع نفسه، عَيْن الجيش الذي يَنْظُر لهم. عينُ الرُّكْبة. عين النفس أن يَعِين الرَّجلُ الرجلَ ينظرُ إليه فيصيبه بعَيْنٍ، السَّحابة التي تنشأ من القبلة قبل أهل العراق، عين اللصوص.

المشترك اللفظي:

2. آراء العلماء في المشترك اللفظي:

لقي المشترك اهتمام اللغويين منذ زمن مبكّر، فقدْ ذكره سيبويه مع الترادف في النص الذي قدّمناه في المحاضرة السابقة، وإنْ كان لم يلْق ما لقيه الترادف من شدّة خصومات. وقد ورد في القرآن الكريم، ما جعل بعض اللغويين والمفسرين ودارسي الإعجاز والبلاغة يدرسونه ويحتفون به، وقد عُدَّ واحدا من وجوه إعجاز القرآن.

وقد اختلف العلماء حوله؛ فمن المؤيّدين الأصمعي والخليل وسيبويه وأبو زيد الأنصاري وابن فارس والثعالبي... ومن حججهم:

- لأنّ المعانيَ غيرَ متناهيةٍ والألفاظ متناهية، فإذا وُزِّع لزِم الاشتراك.

• فالحروف بأسْرِها مشتركة بشهادة النُّحَاة والأفعال الماضية مشتركةٌ بين الخبَر والدُّعاء والمضارعَ كذلك وهو أيضا مشْتَرَكٌ بين الحال والاستقبال والأسماء كثير فيها الاشتراك، فإذا ضَمَمْناها إلى قسمي الحروف والأفعال كان الاشتراكُ أغلبَ.

ومن المنكرين له لوقوعه أبو علي الفارسي، وابن دُرُسْتَوَيْه؛ فقد ورد عن ابن سيده " اتِّفَاق اللَّفْظَيْنِ وَاخْتِلَاف الْمَعْنيين، فَيَنْبَغِي أَن لَا يكون قصْدا فِي الْوَضع، وَلَا أصلا لَهُ، وَلكنه من لُغات تَداخلتْ أَو تكون كلّ لَفْظَة تسْتَعْمل بِمَعْنى ثمَّ تستعار لشَيْء فتكثر وتغلب فَتَصِير بِمَنْزِلَة الأَصْل".

ومن الذين ألّفوا في المشترك: أبو عبيد (ت 224هـ) في كتابه (الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى)، وهو يتناول كلمات المشترك اللفظي في الحديث النبوي فقط. وأبو العَمَيْثل (ت 240هـ)عنوان كتابه (ما اتفق لفظه واختلف معناه). وهو يتناول ألفاظ المشترك اللفظي بوجه عام. والمُبَرِّد (285هـ) في كتاب عنونه بـ (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) وهو خاص بكلمات المشترك اللفظي في القرآن الكريم. ولعلّ أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي لأبي الحسن علي بن الحسن الأزدي كراع النمل(توفي بعد 309هـ).

3. أسباب المشترك اللفظي:

أ. اختلاف اللهجات العربية:

بأنْ تضع قبيلةٌ ما، اللفظَ لأحد المعاني، وللمعنى الآخر قبيلة أخرى، ويشيع الاستعمالان. من ذلك: الألفت: عند تميم هو الأعسر. وعند قيس هو الأحمق. وتُطلق العرب على الذئب: السرحان، والسيّد. وهو ما تُطلق هذيل على الأسد. السليط: الزيت، بلغة أهل اليمن، وبلغة من سواهم دهن السمسم.

ب. الاستعمال المجازي:

وذلك عند كثرة نقل الألفاظ إلى معان مجازية، تصبح معانيها حقيقة، مثل: الهلال: هلال السماء ، حديدة الصيد ، هلال النعل ، هلال الإصبع ...

ج ـ الاقتراض من اللغات الأخرى:

تقترض اللغات بعضها من بعض، لحاجتها لذلك، ومن الأمثلة: السور: حائط المدينة بالعربية، والسُّوْرُ: الضِّيافةُ، فارِسيَّةٌ. الحُب بمعنى الوداد وهي عربية، والحُب الجرّة التي يجعل فيها الماء، وهي فارسية.